تمهيد: الظاهرة وخطورتها

تزايدت فى الآونة الأخيرة على مستوى العالم العربى حدة أعمال العنف والإرهاب، الناتجة عن ظاهرة التطرف الدينى، التى بدأ ظهورها فى المجتمع المصرى مع مطلع السبعينات. ومن الواضح أنها أصبحت تمثل مشكلة خطيرة، لم تعد تقتصر فقط على إحداث الاضطراب والذعر فى الشارع المصرى، وإنما امتدت آثارها إلى حركة الاقتصاد والسياسة، وصارت تهدد الأمن القومى، وتحظى باهتمام عالمى ينعكس بالسلب على سياسة مصر الخارجية، ويشوّه الصورة المسالمة للمسلمين.

ولبيان مدى خطورة المشكلة، تكفى الإشارة هنا إلى أبرز أعمالها بدءاً من حادث "الفنية العسكرية"، ثم مقتل السادات، والهجوم المسلح على مديرية أمن أسيوط، ونهب محلات الذهب، وضرب السياحة فى مقتل، ومحاولات اغتيال وزراء الداخلية والإعلام ورئيس مجلس الشعب، بالإضافة إلى استهداف كبار ضباط الجيش والشرطة. وكانت محصلة القتلى خلال السبعينات (٥٥) فرداً، وفى الثمانينات (١١٤) وفى السنوات القليلة الماضية من التسعينات (٣٦٠)[١].

وعلى الرغم من تصدى وزارة الداخلية الصارم للإرهاب، فإن الظاهرة التى نقف خلفه لم تزل قائمة ومستمرة، ولايبدو أنها تتراجع، بدليل أنها مازالت قادرة على توجيه عناصرها الإرهابية لضرب مواقع حيوية، أو اغتيال شخصيات مسئولة إبتداء من صعيد مصر وحتى القاهرة. وهذا يعنى أن لها قيادات، وأن هذا القيادات ذات تأثير قوى على أتباعها، وأن لديها مخططات محددة، تنفذ مراحلها بأسلوب الفعل ورد الفعل.

ولاشك أن التصدى للإرهاب يكلف الدولة الكثير جدا من الوقت، والجهد، والمال. كما أنه يصرف اهتمامها عن معالجة المشكلات العاجلة للشعب، مما يسبب اضطرابا فى الأداء، ينتج عنه تذمر فى الطبقات الشعبية بالداخل، وشيوع عدم الاستقرار فى الخارج. وتلك هى بالتحديد نفس الأهداف التى

يسعى إليها مخططو الإرهاب، لخلخلة النظام الحالى، بقصد إثبات فشله حتى يصبح الطريق خاليا أمامهم للوصول إلى الحكم.

ومن أخطر مايتسلح به هؤلاء: قناع الدين، الذى يخدعون به أتباعهم من الشباب، بحيث يحولونهم -عن طريق التعصب الأعمى والطاعة المطلقة- إلى دمى يسهل تحريكها فى كل اتجاه، أو قنابل موقوته يمكن تفجيرها فى أى موقع.

وانطلاقا من فهم خاص جدا للدين، وتصور محدود وقاصر للواقع، اتخذت هذه الجماعات المتطرفة موقفا معاديا للمجتمع الذى تعيش فيه: فرفضت أنظمته، واتهمت معتقداته، وأدانت تصرفاته، وبالجملة فقد حاكمته وحكمت عليه بالفسق، والكفر، وكلا الأمرين يستلزم مقاطعته بل محاربته[٢] وبهذا لم يخسر المجتمع فقط عددا من أبنائه، وإنما أصبح يتعرض لأذاهم، ويشغل نفسه بمقاومتهم.

ومن الملاحظ أن ظاهرة التطرف الدينى لم تعد تقتصر على بلد عربى واحد، بل إنها أخذت تنتشر فى كافة أنحاء الوطن العربى. فهى موجودة فى مصر، وقوية جدا فى الجزائر، ورموزها وصلت إلى السلطة فى السودان، بل إن السعودية قد تعرضت لها فى حركة اقتحام الحرم المكى، كما أنها متواجدة بكثافة فى الكويت والبحرين (وقد شاهدتها بنفسى (١٩٨٥-١٩٩١) تنتشر بين شباب قطر، على الرغم من مستوياتهم المادية المرتفعة جدا)[٣].